

سورة الحديد

مدنية، وهي تسع وعشرون آية [نزلت بعد الزلزلة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) لَمْ تَلِكْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بِنَحْيٍ. وَوُضِعَتْ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾
لَمْ تَلِكْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأَمْوَارَ ﴿٥﴾ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾

جاء في بعض الفواتح ﴿سَبَّحَ﴾ على لفظ الماضي، وفي بعضها على لفظ المضارع، وكل واحد منهما معناه: أن من شأن من أسند إليه التسبيح أن يسبحه، وذلك هجيره وديدنه، وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله تعالى: ﴿وَسُبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] وأصله: التعدي بنفسه، لأن معنى سبحته: بعدته عن السوء، منقول من سبج إذا ذهب وبعد، فاللام لا تخلو إما أن تكون مثل اللام في: نصحته، ونصحت له، وإما أن يراد بسبح لله: أحدث التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصاً، ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما يتأتى منه التسبيح ويصح. فإن قلت: ما محل ﴿بِنَحْيٍ﴾؟ قلت: يجوز أن لا يكون له محل، ويكون جملة برأسها؛ كقوله: ﴿لَمْ تَلِكْ السَّمَوَاتِ﴾ [البقرة: ١٠٧] وأن يكون مرفوعاً على: هو يحيي ويميت، ومنصوباً حالاً من المجرور في (له) والجار عاملاً فيها. ومعناه: يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الأحياء ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ هو القديم الذي كان قبل كل شيء ﴿وَالْآخِرُ﴾ الذي يبقى بعد هلاك كل شيء ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة الدالة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ لكونه غير مدرك بالحواس. فإن قلت: فما معنى الواو^(١)؟ قلت الواو الأولى

(١) قال محمود: «إن قلت: ما معنى الواو وأجاب بأن المتوسطة بين الأول والآخر للجمع بين معنى الأولية والبقاء إلخ. قال: ومعنى الظاهر أي بالأدلة والباطن أي عن الحواس. وقيل: وفيه دليل الرد =

معناها الدلالة^(١) على أنه الجامع بين الصفتين الأولى والآخرة، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء. وأما الوسطى، فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخيرين، فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهر وباطن: جامع للظهور بالأدلة والخفاء، فلا يدرك بالحواس. وفي هذا حجة على من جوز إدراكه^(٢) في الآخرة بالحاسة. وقيل: الظاهر العالي على كل شيء الغالب له، من ظهر عليه إذا علاه وغلبه. والباطن الذي بطن كل شيء، أي علم باطنه: وليس بذلك مع العدول عن الظاهر المفهوم.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿مُتَسَلِّفِينَ فِيهِ﴾ يعني: أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما مولاكم إياها، وحوالكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة. وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب، فأنفقوا منها في حقوق الله، وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه. أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم: بتوريثه إياكم، فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم، وسينقل منكم إلى من بعدكم؛ فلا تبخلوا به/٢/٢١٠أ، وأنفقوا بالإنفاق منها أنفسكم ﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ حال من معنى الفعل في مالكم، كما تقول: مالك قائماً، بمعنى: ما تصنع قائماً، أي: وما لكم كافرين بالله. والواو في ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال، فهما حالان متداخلتان. وقرئ: «وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله

= على من زعم أنه تعالى يرى في الآخرة بالحاسة» قال أحمد: «لا دليل فيه على ذلك؛ فإن لنا أن نقول: إن المراد عدم الإدراك بالحاسة في الدنيا لا في الآخرة. ونحن نقول به، أو في الآخرة. والمراد: الكفار والجاحدون للرؤية كالقدرية ألا ترى إلى قوله: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فإنه قيل: تقييد وتخصيص على خلاف الظاهر. قلنا والمسألة قطعية، فيكفي الاحتمال. وأيضاً فقسيمه لا بد فيه من تخصيص؛ فإنه تعالى لم يظهر جميع خلقه على الأدلة الموصلة إلى معرفته، بل أخفاها عن كثير منهم وحرّمهم الفوز بالإيمان به عز وجل؛ فالظاهر إذاً معناها في التخصيص كالثاني طبقاً بينه وبين الأول.

(١) قوله: «قلت الواو الأولى معناها الدلالة» الأولى إنما دلت على اجتماع الصفتين الأوليين، والثالثة على اجتماع الأقرين. والثانية على اجتماع المجموعين. (ع)

(٢) قوله: «حجة على من جوز إدراكه» يريد أهل السنة، وهم قد جوزوا رؤيته مطلقاً، وقالوا: لا تدركه الأبصار، أي: لا تحيط به؛ والمعزلة أحالوا رؤيته تعالى؛ وتفصله في التوحيد. (ع)

والرسول يدعوكم» والمعنى: وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج، وقيل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان: حيث ركب فيكم العقول^(١)، ونصب لكم الأدلة، ومكنكم من النظر، وأزاح عنكم، فإذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتبنيه الرسول، فما لكم لا تؤمنون ﴿إِنَّكُمْ تُمُونُونَ﴾ لموجب ما؛ فإن هذا الموجب لا مزيد عليه. وقرئ: «أخذ ميثاقكم^(٢)» على البناء للفاعل، وهو الله عز وجل.

﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ مَا يَشَاءُ يَنْتَهِ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ

لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾

﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ الله بآياته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. أو ليخرجكم الرسول بدعوته ﴿لَرَءُوفٌ﴾ وقرئ: «لَرَءُوفٌ»^(٣).

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ يَرْثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَا يَسْتَوِي مَنكَرٌ مِّنْ أَنْفَقَ مِنْ

قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَعْتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لِمُ وَكَلَّا أَجْرٌ

كَرِيمٌ ﴿١١﴾

(١) قال محمود: «أخذ الميثاق عبارة عن تركيب العقول فيهم... إلخ» قال أحمد: وما عليه أن يحمل أخذ الميثاق على ما بينه الله في آية غير هذه، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولقد يربيني منه إنكاره لكثير من مثل هذه الظواهر والعدول بها عن حقائقها مع إمكانها عقلاً ووقوعها بالسمع قطعاً إلى ما يتوهمه من تمثيل يسميه تخيلاً، فالقاعدة التي تعتمد عليها كي لا يضرك ما يؤمن إليه أن ما كل ما جوزه العقل وورد بوقوعه بالسمع وجب حمله على ظاهره والله الموفق.

(٢) قوله وقرئ: أخذ ميثاقكم» يفيد أن القراءة على البناء للمفعول أشهر. (ع)

(٣) قوله: «قرئ» [لرؤف] يفيد أن القراءة بالقصر أشهر، وفيه نظر فليتنظر. وفي الصحاح: رؤف به - بالضم، ورأف به - بالفتح، ورثف به - بالكسر، فهو رؤف على فعول. قال كعب بن مالك الأنصاري [من الوافر]:

نطيع نبينا ونطيع ربنا هو الرحمن كان بنا رؤفًا

رؤف أيضًا على فعل. قال جرير [من الوافر]:

يرى للمسلمين عليه حقًا كفعل الوالد الرؤف الرحيم

والظاهر أن رسمه بواو واحدة حال المد والقصر، فيكون الأشهر قراءة المد، كما هو الأشهر في الاستعمال اللغوي. (ع)

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا﴾ في أن لا تنفقوا ﴿وَاللَّهُ يَبْرُثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره، يعني: وأني غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم، وهو من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله. ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مَنْكَرٌ مِّنْ أَنْفَقَ﴾ قبل فتح مكة قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجًا وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه، ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدًا أحدهم ولا نصيفه» (١٥٤٥) أعظم درجة وقرئ: «قبل الفتح» ﴿وَكُلًّا﴾ وكل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ أي المثوبة الحسنَى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات. وقرئ: بالرفع على «وكل وعده الله» وقيل: نزلت في أبي بكر - رضي الله عنه -، لأنه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله. القرض الحسن: الإنفاق في سبيله. شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز، لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكانه أقرضه إياه ﴿فِيضَعْفَهُ لَكُمْ﴾ أي يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفًا ﴿أضعافًا﴾ من فضله ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يعني: وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه: وقرئ: «فيضعفه» وقرئنا

١٥٤٥ - فأما حديث أبي سعيد فرواه البخاري (٢٥١٧) في فضائل الصحابة، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لو كنت متخذًا خليلاً» (٣٦٠٣)، ومسلم (١٩٦٧/٤) في فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة (٢٥٤١/٢٢٢)، وأبو داود (٦٢٩/٢) في السنة: باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٤٦٥٨)، والترمذي (٦٥٣/٥) في المناقب (٣٨٦١)، وأحمد (١١/٣، ٥٤، ٦٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٧٨/٢) - ٤٧٩ - ٩٩٠ - (٩٩١)، والبيهقي (٢٠٩/١٠)، والخطيب في التاريخ (١٤٤/٧) من الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد مرفوعًا: لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدًا أحدهم ولا نصيفه.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وأما حديث أبي هريرة، فرواه مسلم (٢٢١ - ٢٥٤٠)، وابن ماجه (٥٧/١) في المقدمة: باب فضل أهل بدر (١٦١) عن الأعمش عن أبي صالح عنه مرفوعًا به.
وأما حديث أنس فرواه أحمد (٢٦٦/٣).

ولأنس حديث آخر في هذا الباب، رواه ابن ساجه (٣٩٨٧)، والخطيب في التاريخ (٢٥٧/١٢).
وحسن إسناده البوصيري في الزوائد (٢٣٧/٣).
وفي الباب كذلك عن ابن عباس رواه الطبراني في الكبير (٧٠/١١) (١١٠٧٤) عن ليث عن مجاهد عنه.

وقال الهيثمي في المجمع (٢٨١/٧): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - . انتهى .

منصوبين على جواب^(١) الا. تفهام والرفع عطف على ﴿يَقْرُضُ﴾، أو على: فهو يضاعفه.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢)

﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أو منصوب بإضمار «اذكر» تعظيمًا لذلك اليوم. وإنما قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين؛ كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم، فجعل النور في الجهتين شعارًا لهم وآية؛ لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا، فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون: سعى بسعيهم ذلك النور جنبا لهم ومتقدمًا. ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة: ﴿بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ﴾. وقرئ: «ذلك الفوز».

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَمْ يَأْتِ بِهَا طَبَعٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (١٣) ﴿يَأْتِيهِمْ لَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّبْتُمْ الْأَمْثَلُ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَزَّكُمْ بِأَنَّهُ الْعَرُورُ﴾ (١٤) ﴿قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أَوْكَلَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانُكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ (١٥)

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بدل من يوم ترى ﴿انظُرُونَا﴾ انظرونا، لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف^(٢) بهم. وهؤلاء مشاة. وانظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به. وقرئ: «انظرونا» من النظرة وهي الإمهال: جعل اتقادهم في المضي إلى أن يلحقوا بهم إنظارًا لهم ﴿نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ نصب منه؛ وذلك أن يلحقوا بهم فيستتبروا به ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ طرد لهم وتهكم بهم، أي: ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك، فمن ثم يقتبس. أو ارجعوا إلى الدنيا، فالتمسوا نورًا بتحصيل سببه وهو الإيمان. أو ارجعوا خائبين وتنجحوا عنا، فالتمسوا نورًا آخر، فلا سبيل لكم إلى هذا النور، وقد علموا أن لا نور وراءهم؛ وإنما هو تخيب وإقنات لهم ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار. وقيل: هو الأعراف لذلك السور ﴿بَابُ﴾ لأهل الجنة ٢/٢١٠ ب يدخلون منه ﴿بِاطْنِ﴾ باطن السور أو الباب، وهو الشق الذي يلي الجنة ﴿وَظَاهِرُ﴾ ما ظهر

(١) قوله: «وقرنا منصوبين على جواب» أي قوله: فيضاعفه. وقوله فيضاعفه. (ع)

(٢) قوله: «تزف بهم» أي: تسرع. أفاده الصحاح. (ع)

لأهل النار ﴿مِنْ قِبَلِهِ﴾ من عنده ومن جهته ﴿الْعَذَابُ﴾ وهو الظلمة والنار. وقرأ زيد بن علي - رضي الله عنهما -: «فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ» على البناء للفاعل ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ يريدون موافقتهم في الظاهر ﴿فَنَسَتْ أَنْفُسَكُمْ﴾ محتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿وَوَرَقَسْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَعَزَّزْتُكُمْ الْأَمَانَةَ﴾ طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿وَعَزَّزْتُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ وعزركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم. وقرئ: «الغرور» بالضم ﴿وَفَذَّبَهُ﴾ ما يفتدى به ﴿هِيَ مَوْلَانَكُمْ﴾ قيل: هي أولى بكم، وأنشد قول لبيد [من الكامل]:

فَعَدَّتْ كِلَا الْفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ مَوْلِي الْمَخَافَةَ خَلَفَهَا وَأَمَامَهَا^(١)
وحقيقة مولاكم: محراكم ومقمنكم^(٢). أي: مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم، كما قيل: هو مئنة للكرم، أي مكان؛ لقول القائل: إنه لكريم. ويجوز أن يراد: هي ناصركم، أي لا ناصر لكم غيرها. والمراد: نفي الناصر على البتات. ونحوه قولهم: أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع^(٣). ومنه قوله تعالى: ﴿يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمَلِ﴾ [الكهف: ٢٩] وقيل: تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾

(١) وتوجست رز الأنيس فراعها عن ظهر غيب والأنيس سقامها
فعدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

لبيد من معلقته. يصف بقرة وحشية، توجست: أي سمعت البقرة. والتوجس: التسمع. ويقال: رزت السماء رزاً، بتقديم الراء إذا صوتت عند المطر؛ فالرز بالفتح: التصويت الخفي، وبالكسر: اسم للصوت الخفي. ورز: أي صوت الأنيس، وهم الصياد، فأفزعها بظهر الغيب. وإقحام الظهر في مثل هذا التركيب: مبالغة في الخفاء؛ لأن ما وراء الظهر لا يعلم ولا يدري ما هو. وسمي الصياد أنيساً بالنسبة إلينا لا إليها، لأنه عاها وسبب خوفها، فجعله نفس السقام مبالغة. وكلا الفرجين: مبتدأ. وتحسب أنه مولى المخافة: خبر، أي أنه الأولى بالخوف من جهته. وخلفها وأمامها: خبر لمبتدأ محذوف، أو بدل من كلا الفرجين للتوضيح والتبيين، أي: لهما ما بين رجليها وما بين يديها، وبعضهم فسرها بتقرنين في الجبل؛ وعليه فلا معنى للام العهد فيهما.

ينظر: ديوانه ص ٣١١، وإصلاح المنطق ص ٧٧، والدرر ١١٧/٣، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٧٠، وشرح المفصل ١٢٩/٢، والكتاب ٤٠٧/١، ولسان العرب (أمم)، (كلا)، (ولي)، والمقتضب ٣٤١/٤، وكتاب العين ٤٢٩/٨ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٦٣، وشرح شذور الذهب ص ٢٠٩، ولسان العرب (فرج).

(٢) قوله: «محراكم ومقمنكم» يقال: هو حري أن يفعل كذا، وهو قمن أن يفعله، أي: جدير بذلك وحقيق به. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «فاستنصر الجزع» لعله: الجزع، أي: نقض الصبر. (ع)

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ من أنى الأمر يأتي، إذا جاء إناه، أي: وقته. وقرئ: «ألم يئن» من أن يئين بمعنى: أنى يأتي، وألما يأن، قيل: كانوا مجديين بمكة، فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه، فنزلت. وعن ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين (١٥٤٦). وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: إن الله استبطن قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن. وعن الحسن - رضي الله عنه -: أما والله لقد استبطنهم وهم يقرءون من القرآن أقل مما تقرأون. فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق. وعن أبي بكر - رضي الله عنه - أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة، فبكوا بكاءً شديداً، فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب. وقرئ: نزل ونزل. وأنزل ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ عطف على تخشع، وقرئ بالتاء على الالتفات، ويجوز أن يكون نهيًا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا، وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره. فإن قلت: ما معنى: ﴿لِيُذَكِّرَ اللَّهُ مَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾؟ قلت: يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق: القرآن؛ لأنه جامع للأميرين: للذكر والموعظة، وأنه حق نازل من السماء، وأن يراد خشوعها إذا ذكر الله وإذا تلى القرآن كقوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] أراد بالأمد: الأجل، كقوله [من الخفيف]:

..... إذا أنتهى أمدة^(١)

وقرئ: «الأمد»، أي: الوقت الأطول ﴿وَكَبِيرٌ مِّنْهُمْ فَسُفُوتٌ﴾ خارجون عن دينهم

١٥٤٦ - أخرجه مسلم (٣٨٤/٩ - النووي) كتاب التفسير: باب في قوله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾، حديث (٣٠٢٧/٢٤)، والنسائي في التفسير (٣٨٨/٢) رقم (٥٨٨) كلاهما من طريق سعيد بن أبي هلال عن عون بن عبدالله بن عتبة عن أبيه أن ابن مسعود قال: «ما كان بين إسلامنا... الحديث» موقوفاً على ابن مسعود قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٤١٨/٣) وهم الحاكم فرواه في المستدرک وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أ. هـ. قال الحافظ:

أخرجه مسلم بلفظ «وبين أن عاتبنا الله» وهم الحاكم فاستدرکه. انتهى.

(١) قوله: «كقوله إذا أنتهى أمده» البيت من أوله:

كل حي مستكمل مدة العم
أهـ. عليان
قلت: قد تقدم.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قيل: هذا تمثيل لأنذر الذكر في القلوب، وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض .

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿الْمُصَّدِّقِينَ﴾ المتصدقين . وقرئ على الأصل . والمصدقين من صدق، وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني: المؤمنين . فإن قلت: علام عطف قوله ﴿وَأَقْرَضُوا﴾؟ قلت: على معنى الفعل في المصدقين؛ لأن اللام بمعنى الذين، واسم الفاعل بمعنى اصدقوا، كأنه قيل: إن الذين اصدقوا وأقرضوا . والقرض الحسن: أن يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة . وقرئ: «يضعف» ويضاعف، بكسر العين، أي: يضاعف الله .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

يريد أن المؤمنين بالله ورسوله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء؛ وهم الذي سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي: مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم . فإن قلت: كيف يسوى بينهم في الأجر ولا بد من التفاوت؟ قلت: المعنى: أن الله يعطي المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضلهم، حتى يساوي أجرهم مع إضاعفه أجر أولئك . ويجوز أن يكون ﴿وَالشَّهَادَةُ﴾ مبتدأ، و﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبره .

﴿اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَوَةُ/ ٢/ ٢١١﴾ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾

أراد أن الدنيا ليست إلا محقرات من الأمور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر . وأما الآخرة فما هي إلا أمور عظام، وهي: العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله . وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبت الغيث فاستوى واكتهل^(١)

(١) قوله: «فاستوى واكتهل» في الصحاح: اكتهل النبات، أي: تم طوله وظهر نوره . (ع)

وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات، فبعث عليه العاهة فهاج واصفرّ وصار حطامًا عقوبة لهم على جحودهم، كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين. وقيل: ﴿الْكَفَّارَ﴾ الزَّرَاع. وقرئ: «مصفرًا».

﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٢﴾

﴿سَابِقُوا﴾ سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في المضمار، إلى جنة ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قال السدي: كعرض سبع السموات وسبع الأرضين، وذكر العرض دون الطول؛ لأن كل ماله عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله، فإذا وصف عرضه بالبسطة، عرف أن طوله أبسط وأمد. ويجوز أن يراد بالعرض: البسطة، كقوله تعالى: ﴿فَدُو دُعَاءِ غَرِيصٍ﴾ [فصلت: ٥١] لما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة: بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك: وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ﴿ذَلِكَ﴾ الموعود من المغفرة والجنة ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾ عطاؤه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ وهم المؤمنون.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ بِأَمْوَالِهِمُ الْبَحْلَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

المصيبة في الأرض: نحو الجذب وآفات الزروع والثمار. وفي الأنفس: نحو الأدواء والموت ﴿فِي كِتَابٍ﴾ في اللوح ﴿مِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ يعني: الأنفس أو المصائب ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إن تقدير ذلك وإثباته في كتاب ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وإن كان عسيرًا على العباد، ثم عدل ذلك وبين الحكمة فيه فقال: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا...﴾ ﴿وَلَا تَفْرَحُوا﴾ يعني: أنكم إذا علمتم أن كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتي؛ لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة: لم يتفامم جزعه عند فقده، لأنه وطن نفسه على ذلك، وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه، وأن وصوله لا يفوته بحال: لم يعظم فرحه عند نياله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه: اختال وافتخر به وتكبر على الناس. قرئ: «بما آتاكم» وأتاكم، من الإيتاء والإتيان. وفي قراءة ابن مسعود «بما أوتيتم» فإن قلت: فلا أحد يملك نفسه - عند مضرة تنزل به،

ولا عند متفعة ينالها - أن لا يحزن ولا يفرح . قلت : المراد : الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين ، والفرح المطغي الملهي عن الشكر ؛ فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام ، والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر : فلا بأس بهما ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾ بدل من قوله : ﴿كُلُّ مَخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ كأنه قال : لا يحب الذين يبتخلون ، يريد : الذين يفرحون الفرح المطغي إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم : يزوونه عن حقوق الله ويبتخلون به ، ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الإمساك ويزينوه لهم ، وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطهرهم عند إصابته ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتي : فإن الله غني عنه . وقرئ : «بالبخل» وقرأ نافع : «فإن الله الغني» ، وهو في مصاحف أهل المدينة والشام كذلك .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١٥)

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ يعني : الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج والمعجزات ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي : الوحي ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ روي أن جبريل - عليه السلام - نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال : مر قومك يزنون به ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ قيل : نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد : السندان ، والكليتان ، والميعة والمطرقة^(١) ، والإبرة . وروي : ومعه المرّ والمسحاة . وعن النبي ﷺ : «أن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض : أنزل الحديد ، والنار ، والماء ، والملح (١٥٤٧) . وعن الحسن ﴿وَأَنْزَلْنَا

١٥٤٧ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤١٨/٣) : (رواه الثعلبي في تفسيره أخبرنا أبو سفيان الحسين ابن عبد الله الدهقان ثنا الحسن بن إسماعيل بن خلف الخياط ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن الفرج العدل ثنا محمد بن عبيد بن عبد الملك بن مالك التميمي عن عبد الله بن خليفة عن ابن عمر قال : قال رسول الله - ﷺ - : «إن الله تعالى أنزل . . . إلى آخره . وهو في الفردوس كذلك من حديث ابن عمر ؛ قال الحافظ ابن حجر : أخرجه الثعلبي من حديث ابن عمر وفي إسناده من لا أعرفه . انتهى .

(١) قوله : «والميعة والمطرقة . . . إلخ» في الصحاح «الميعة» : المطرقة . والميعة - أيضا - : المسن الطويل . والمر : الحبل ، والمسحاة كالمجرقة ، إلا أنها من حديد . (ع)

الْحَدِيدِ: خلقناه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ [الزمر: ٦٠] وذلك أن أمره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وهو القتال به ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ في مصالحهم ومعاشهم وصنائعهم، فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها؛ أو ما يعمل بالحديد ﴿وَالْيَعْلَمُ اللَّهُ مَنْ يَصْرُوهُ يُرْسَلُ﴾ باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح/٢/٢١١ب في مجاهدة أعداء الدين ﴿بِالْقَيْبِ﴾ غائباً عنهم، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ينصرونه ولا يبصرونه ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ غني بقدرته وعزته في إهلاك من يريد هلاكه عنهم، وإنما كلفهم الجهاد ليتفوعوا به ويصلوا بامثال الأمر فيه إلى الثواب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ

مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾

﴿وَالْكِتَابِ﴾ والوحي. وعن ابن عباس: الخط بالقلم، يقال: كتب كتاباً وكتابة ﴿مِنْهُمْ﴾ فمن الذرية أو من المرسل إليهم، وقد دل عليهم ذكر الإرسال والمرسلين. وهذا تفصيل لحالهم، أي: فمنهم مهتد ومنهم فاسق، والغلبة للفساق.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا فَتَأْتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾

قرأ الحسن: الأنجيل، بفتح الهمزة، وأمره أهون من أمر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء، لأن الكلمة أعجمية لا يلزم فيها حفظ أبنية العرب. وقرئ: «رأفة» على: فعالة، أي: وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم. ونحوه في صفة أصحاب رسول الله ﷺ «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» [الفتح: ٢٩]. والرهابية: ترهيبهم في الجبال فأزين من الفتنة في الدين، مخلصين أنفسهم للعبادة، وذلك أن الجبابة ظهرها على المؤمنين بعد موت عيسى، فقاتلوه ثلاث مرات، فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا القليل، فخافوا أن يفتنوا في دينهم، فاختاروا الرهابية: ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان^(١)، وهو الخائف: فعلان من رهب، كخشيان من خشى. وقرئ: «ورهبانية» بالضم، كأنها نسبة إلى الرهبان: وهو جمع راهب كراكب وركبان، وانتصابها بفعل مضمّر^(٢) يفسره الظاهر: تقديره. وابتدعوا

(١) قال محمود: «الرهابية: الفعلة المنسوبة للرهبان... إلخ» قال أحمد: وفيه إشكال، فإن النسب إلى الجمع على صيغته غير مقبول عندهم حتى يرد إلى مفرد، إلا أن يقال: إنه لما صار الرهبان طائفة

مخصوصة صار هذا الاسم - وإن كان جمعاً - كالعلم لهم، فلحق بأنصاري ومدائني وأعرابي.

(٢) قال محمود: «وهي منصوبة بفعل مضمّر... إلخ» قال أحمد: في إعراب هذه الآية تورط أبو علي =

رهبانية ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ يعني: وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها ﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِنَّ﴾ لم نرضها نحن عليهم ﴿إِلَّا آيَةً رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ استثناء منقطع، أي: ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾ كما يجب على الناذر رعاية نذره؛ لأنه عهد مع الله لا يحل نكته ﴿فَتَأْتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يريد: أهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَقُوتُونَ﴾ الذين لم يحافظوا على نذرهم. ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها، وابتدعوها: صفة لها في محل النصب، أي: وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم، بمعنى: وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها، ما كتبناها عليهم إلا ليتبعوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب، على أنه كتبها عليهم وألزمها إياهم ليتخلصوا من الفتن ويتبعوا بذلك رضا الله وثوابه، فما رعوها جميعاً حق رعايتها؛ ولكن بعضهم، فأتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم، وكثير منهم فاسقون. وهم الذين لم يروعها.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا اللَّهَ وَءَامَنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِيكُمُ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يجوز أن يكون خطاباً للذين آمنوا من أهل الكتاب والذين آمنوا^(١) من غيرهم، فإن كان خطاباً لمؤمني أهل الكتاب. فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﴿يُؤْتِيكُمُ﴾ الله ﴿كِفْلَيْنِ﴾ أي نصيبين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ لإيمانكم بمحمد وإيمانكم بمن قبله ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ وهو النور المذكور في قوله: ﴿بَسَمِ نُّورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٢]. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما أسلفتم من الكفر والمعاصي.

= الفارسي وتحيز إلى فئة الفتنة وطائفة البدعة، فأعرب رهبانية على أنها منصوبة بفعل مضمر يفسره الظاهر، وعلل امتناع العطف فقال: ألا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على (جعلنا) مع وصفها بقوله: (ابتدعوها) لأن ما يجعله هو تعالى لا يتدعونه هم، والزمخشري ورد أيضاً مورده اللميم، وأسلمه شيطان الرجيم، فلما أجاز ما منعه أبو علي من جعلها معطوفة: أعذر لذلك بتحريف الجعل إلى التوفيق، فإرا ما فر منه أبو علي: من اعتقاد أن ذلك مخلوق لله تعالى، وجنوحاً إلى الإشراك واعتقاد أن ما يفعلونه هم لا يفعله الله تعالى ولا يخلقه، وكفى بما في هذه الآية دليلاً بعد الأدلة القطعية والبراهين العقلية على بطلان ما اعتقده؛ فإنه ذكر محل الرحمة والرأفة مع العلم بأن محلها القلب، فجعل قوله: (في قلوب الذين اتبعوه) تأكيداً لخلقه هذه المعاني وتصويراً لمعنى الخلق بذكر محله؛ ولو كان المراد أمراً غير مخلوق في قلوبهم لله تعالى كما زعمنا: لم يبق لقوله في قلوب الذين اتبعوه موقع، ويأبى الله أن يشتمل كتابه الكريم على ما لا موقع له، ألهمنا الله الحجة ونهج بنا واضح المحجة، إنه ولي التوفيق وواهب التحقيق.

(١) قوله: «والذين آمنوا» لعله وللذين آمنوا. (ع)

﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾ ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الذين لم يسلموا. ولا مزيدة ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ أن مخففة من الثقيلة، أصله: أنه لا يقدر، يعني: أن الشأن لا يقدر أن ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفيلين: والنور والمغفرة، لأنهم لم يؤمنوا برسول الله، فلم يتفعهم إيمانهم بمن قبله، ولم يكسبهم فضلاً قط. وإن كان خطاباً لغيرهم، فالمعنى: اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفيلين في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] ولا ينقصكم من مثل أجرهم، لأنكم مثلهم في الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله. روي: أن رسول الله ﷺ بعث جعفرًا - رضي الله عنه - في سبعين راكبًا إلى النجاشي يدعوه، فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له، فقال ناس ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون رجلًا. ائذن لنا في الوفادة على رسول الله ﷺ، فأذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد، فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة: استأذنوا رسول الله ﷺ، فرجعوا وقدموا بأموال لهم فأسوا بها المسلمين^(١)، فأنزل الله ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ...﴾ [البقرة: ١٢١] إلى قوله: ﴿... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْفُونَ﴾ [البقرة: ٣] فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله: ﴿بُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] فخرخوا على المسلمين وقالوا: أما من آمن/٢/٢١٢أ بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين، وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم، فما فضلكم علينا؟ فنزلت. وروي أن مؤمني أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين، وادعوا الفضل عليهم، فنزلت. وقرئ: «لكي يعلم» و«لكيلا يعلم». و«ليعلم». و«لأن يعلم»؛ بإدغام النون في الياء. و«لين يعلم»: بقلب الهمزة ياء وإدغام النون في الياء. وعن الحسن: «ليلا يعلم»، بفتح اللام وسكون الياء. ورواه قطرب بكسر اللام. وقيل: في وجهها: حذفتم همزة أن، وأدغمت نونها في لام لا؛ فصار «للا» ثم أبدلت من اللام المدغمة ياء، كقولهم: ديوان، وقيراط. ومن فتح اللام فعلى أن أصل لام الجز الفتح، كما أنشد [من الطويل]:

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذُكْرَهَا (٢)

(١) المعروف أن جعفر إنما قدم بعد أحد بزمان، قدم عند فتح خيبر.

(٢) أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

لقيس بن الملوح مجنون ليلي العامرية. وقيل: لكثير صاحب عزة. وكني عنها بليلي تسترا. وقيل: سرقه كثير من شعر جميل صاحب بثينة. وقوله: لأنسى بفتح لام الجر على الأصل في الحروف =

وقرىء: «أن لا يقدرُوا» ﴿بِيَدِ اللَّهِ﴾ في ملكه وتصرفه. واليد مثل ﴿تُوْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ﴾ ولا يشاء إلا إيتاء من يستحقه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله» (١٥٤٨).

١٥٤٨ - تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه والواحدي، بأسانيدهم إلى أبي بن كعب.

= المفردة، وتلك: لغة عكل، ويتعين فيها إذا دخلت على فعل منصوب بأن مضمرة كما هنا. وتروى بالكسر على اللغة المشهورة، أي: أريد لنسيان تذكرها، واللام زائدة، لكنها هي التي أشعرت بحذف «إن»، وتمثل: أصله تتمثل، أي تتشكل وتتحيل أمامي ليلي بكل طريق، إما الحسي وإما طريق الذكر، والأول أوجه، بدليل قوله: «كأنما» وتمثلها له يوجب تذكرها. وما زائدة بعد كان، كافة لها عن العمل فلذلك دخلت على الفعل.

ينظر: ديوانه ص ١٠٨، والأغاني ٤/٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٣٥/٩، ٣٣٦، وأمالي الفالي ٢/٦٣، وخبزانة الأدب ١٠/٣٢٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٢٣٧، وشرح شواهد المغني ١/٦٥، ٢/٥٨٠، ولسان العرب (رود)، والمقاصد النحويّة ٢/٢٤٩، ٣/٤٠٣، وبلا نسبة في الجني الداني ص ١٢١، ووصف المباني ص ٢٤٦، واللامات ص ١٣٨، والمحتسب ٢/٣٢، ومغني اللبيب ١/٢١٦.